قَدَمُ صِدْقٍ وأخَوَاتُها

(دِرَاسَةٌ مَوضُوعيّةٌ)

الدكتور

شاكر محمود حسين

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على النبيّ الأميِّ الأمينِ وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

وبعدُ...

قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤ ﴾[2]، الآية الأولى: وصفت القرآن: بأن آياته نظمت نظماً رصيناً مُحكما، لا يقع فيه نقص ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف[3]، والأخرى: حثّت على تدبر القرآن، والتدبر هو: التفكّرُ والتّفّهمُ في دُبر الأمر وعاقبته، أي : معرفة ما يخفى منه[4].

ومن هذا الوصف والحضِّ نشرعُ في هذه الدّراسةِ الموضوعيةِ[5] للألفاظ التي

(١) سورة هود: الآية: ١.

(٢) سورة محمد: الآية: ٢٤.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٤٧٦.

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، توفي بحدود (٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط/ ٣، دمشق – سوريا، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٣٠٧، والتحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ت: ٢٦: ١١٣، قال أبو هلال: إن التدبر تصرف القلب في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل، الفروق اللُّغوية: لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت٤٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م: ٨٨.

(٥) هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً، أو حكماً، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية، أو هو: علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر، مباحث في التفسير الموضوعي: أ.د.مصطفى مسلم، دار القلم، ط/ ٤، دمشق – سوريا، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ١٦، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: د.صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار النفائس، ط/ ٢،

أُضيف إليها الصدق، وهي: قوله تعالى ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾[1]، وعنونتُ البحثَ بها، لكونها أوّل العبارات وروداً في كتابِ الله، وعطفتُ عليها أخواتها، وهي: قوله تعالى ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[2]، وقوله ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[3]، وقوله ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾[4]، وقوله ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ﴾[5]، وقوله ﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾[6].

إنّ من عادات القرآنِ الكريم، أن يستعملَ كلمةً، أو عبارةً، أو أسلوباً، ليدل غالباً على معنى معينٍ مطّردٍ[7]، فوجب على الباحث في القرآن الكريم، تتبع نظائر هذه الكلمات أو العبارات أو الأساليب، في كلِّ مواطن ورودها، وأن يدرسها دراسةً وافيةً، ثم يُمعن النظرَ إليها، وهي مجتمعةً، نظرة واحدة، ليكشفَ عن الوشائج والعلاقات والإشارات التي يرتبط بعضُها ببعضٍ، اعتماداً على غوصٍ عميقٍ لاستخراجِ الدررِ من أعماقِ النظمِ القرآني المعجز، ولا يقف عند علاقةِ اللفظِ بالمعنى أو التناسقِ والتناغم بين مفرداتِ النظم وسياقتهِ، وإنّما يطمعُ ويطمحُ إلى معرفةِ ما وراء ذلك من تأثيرٍ في الفكرِ والنفسِ، لأنّ العقلَ والنفسَ ينقادانِ إلى ما يُحرك التأمل والعواطف والوجدان.

والقرآنُ في أسلوبهِ له سلطانٌ على اللّبِّ والقلبِ ويأسرهما ليدورا في فلكه فَرِحَيْنِ بذلك الأسرِ.

عمان – الأردن، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م: ٣٤.

(١) سورة يونس: الآية: ٢.

(٢) سورة يونس: الآية: ٩٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية: ٨٠.

(٤) سورة مريم: الآية: ٥٠، وسورة الشعراء: الآية: ٨٤.

(٥) سورة الأحقاف: الآية: ١٦.

(٦) سورة القمر: الآية: ٥٥.

(٧) ينظر: مفاتح التفسير: أحمد سعيد الخطيب، دار ابن حزم، الرياض، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م : ٢: ٥٨١: ٥٨٣.

فأحببتُ لقلمي أن يكتبَ بعضاً من أسرارِ اختياراتِ القرآنِ الكريم لتلكم العبارات، وأن يجدَ الرابطَ عساه يصل إلى شيءٍ من إعجازِهِ الذي لا تنقضي عجائبه على مدى الدهر، والله الموفق لذلك.

أما سببُ اختيار لموضعِ البحث: فهو إجابةٌ عن سؤالٍ قد سألتني إياه إحدى طالبات كلية الإمام الأعظم / قسم الفقه وأصوله / سامراء (المرحلة الثانية) وقد أجبتُها في حينها إجابةً مقتضبةً، ثم مَنَّ الله عليّ، بأن صيّره بحثاً.

وقد اتّخذتُ في دراستي المنهجَ الآتي: بعد المقدمةِ، قسمتُهُ على مبحثين:

المبحثُ الأوّل: أفردته لدراسةِ معاني (الصدق، القدم، التبوؤ، المُدخل، المُخرج، اللسان، الوعد، المقعد)، لتكونَ لنا دليلاً في الدراسة الموضوعية.

المبحث الثاني: فَخصّصتُهُ للدراسةِ الموضوعيةِ، وَسلكتُ فيه الطريقةَ الآتية:

أولاً: بيّنت ما بين يدي الآية، وتضمن معرفة المكي والمدني، والقراءات العشر التي لها أثر بالمعنى، وأسباب النزول، والمعنى الإجمالي لها.

ثانياً: توجيه الآية، واعتمدت على ثلاثةِ محاور دلالية وهي:

١. الدّلالةُ اللُّغويةُ: وهي ما يخصُّ أصل اللفظ، وبيان دلالة العبارة اللُّغوية.

٢. الدّلالةُ التّفسيريةُ: وأقصدُ بها ما ذكره المفسرون وأصحابُ كتب المعاني من معانٍ للعبارة، التي جاءت أغلبها على المعنى المجازي.

٣. الدّلالةُ السياقيةُ: وهي الكشفُ عن الدّلالةِ اللُّغويةِ والتّفسيريةِ في العبارةِ، بدءاً من الآيةِ ثم سباقِها، فلحاقِها.

أما الخاتِمةُ: فأظهرتُ فيها النتائجَ التي حملها البحثُ من خلالِ الكشفِ عن العلاقةِ بين هذه العباراتِ وما فيها من هداياتٍ يسترشدُ بها كلُّ مسلم مؤمنٍ بالله.

وختاماً، اللهَ أسأل أن يسددَ خطانا لما فيه إعلاءٌ لكتابة، وإعزازٌ لدينه، وأن يجعلَ هذا البحثَ خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأول :
الصدق والألفاظ المضاف إليها

المطلب الأول: معنى: (الصدق)

- قال الخليل: «الصّدقُ: نقيض الكذِب، ويقالُ للرجلِ الجوادِ، والفرسِ الجوادِ: إنّه لذو مَصْدَقٍ، أي: صادِقٌ الحملة... وهذا رجلُ صدقٍ، مضاف بمعنى: نِعْمَ الرّجلُ هو،... فإذا نعته قلت: هو الرَّجُلُ الصَّدْقُ... والصَّدقُ: الكامِلُ في كلِّ شيءٍ»(١).

- قال ابن فارس: «الصاد والدال والقاف أصلٌ يدلُّ على قوةٍ في الشيءِ قولاً وغيره، ومن ذلك الصّدقُ: خِلافُ الكذبِ، سمّي لقوّتِهِ في نفسِهِ، ولأنّ الكذِبَ لا قوّة له، وهو باطلٌ»(٢).

- قال الراغب: «الصِّدْقُ: مُطابقةُ القول الضمير والمُخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرطٌ من ذلك لم يكن صادقاً تماماً...وقال: ويُعبّرُ عن كلِّ فعلٍ ظاهراً وباطناً بالصدقِ، فيضاف إليه ذلك الفعل الذي يُوصَفُ به نحو قوله تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٣) ...»(٤).

- قال الزمخشري: «ومن المجاز: رجلٌ صادقُ الحملة، وذو مَصْدَقٍ في القتال، وفرسٌ

---

(١) كتاب العين: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ٥: ٥٦.

(٢) معجم المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: لشهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ: ٥٨٨، وينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، تحقيق: د.محمد محمد تامر، وآخرين، دار الحديث، القاهرة – مصر، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ٦٣٧.

(٣) سورة القمر: الآية: ٥٥.

(٤) المفردات: ٤٧٨-٤٧٩.

ذو مَصْدَقٍ، وعند بني فلان مَصَادِقُ، وصدَقوهم القتال»[1].

- قال ابن منظور: «صَدَقَ يَصْدَقُ صَدْقاً وتَصداقاً، صَدَّقه: قَبِل قَولَه، وصَدَقه الحَديثَ: أنبأه بالصِّدقِ»[2].

إنّ قراءةً في هذه التعريفات اللُّغوية تُظهر الآتي:

١. الصدق: نقيض الكذب.

٢. الصدق: يدلُّ على القوة والكمال في الشيء (المشعرة بالمدح).

المطلب الثاني: معنى: (القدم)

- قال الخليل: «القَدَمُ: ما يطأ عليه الإنسان من لدن الرسغ فما فوقه، والقُدْمَة والقَدَمُ أيضاً: السابقة في الأمر، وقوله ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[3] أي: سبق لهم عند الله خير»[4].

- قال ابن فارس: «القَافُ والدَّالُ والمِيمُ، أصلٌ صَحيحٌ يدلُّ على سَبْق وَرَعْفٍ، ثُمَّ يُفَرَّعُ مِنْهُ ما يُقَارِبُهُ... ولِفُلانٍ قَدَمُ صِدْقٍ، أي: شَيْءٌ مُتَقدِّمٌ من أَثَرٍ حَسَنٍ»[5]

- قال الراغب: «القَدَمُ: قَدَمُ الرِّجْل، وجمعه أَقْدامٌ، قال تعالى ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾[6]»[7].

---

(١) أساس البلاغة: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د.محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ٣٥١.

(٢) لسان العرب: لمحمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط/ ٣، ١٤١٤هـ: ١٠: ١٩٣ مادة (صدق)

(٣) سورة يونس: الآية: ٢.

(٤) كتاب العين: ٥: ١٢٢، وينظر: لسان العرب: ١٢: ٤٦٥، مادة (قدم).

(٥) معجم المقاييس: ٨٧٨، وينظر: الصحاح: ٩٢١.

(٦) سورة الأنفال: الآية: ١١.

(٧) المفردات: ٦٦٠.

- قال الزمخشري: «ومن المجاز: اجعل ذلك تحت قَدميك، أي: اعف عنه، وجعل دماءهم تحت قدَميه أهدرها...، ولفلان قَدَم في هذا الأمر: سابقه وتقدّمٌ، وله قَدَمُ صدق... ووضع قَدَمه في العمل: أخذ فيه، وقدِّم رجلك إلى هذا الأمر: أقبل عليه»[1].

إن نظرةً لهذه التعريفات تظهر الآتي:

١. القدم: يُراد بها قدم الإنسان.

٢. القدم: السابقة في الأمر، أو ما يتوصل بها إلى الشيء.

المطلب الثالث: معنى (المبوأ)

- قال الخليل: «الباءةُ والمَباءة: منزل القوم حين يَتَبَوَّءُون في قِبَل وادٍ، أو سند جَبَل، بل هو كل منزلٍ يَنزِله القوم، يُقال: تَبوَّءُوا منزلاً... قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[2]»[3].

- قال ابن فارس: «الباء والواو والهمزة أصلان، أحدهما: الرُّجوع إلى الشيء، والآخر تساوِي الشّيئين، الأول: الباءَة والمباءَة، وهي منزلة القوم حيث يَتَبوّءُون... والأصل الآخر: قول العرب: إنّ فلاناً لبَواءٌ بفلان، أي: قُتِل به، كان كُفْواً... ومن الباب كلّمناهم فأجابُونا عن بَوَاءٍ واحدٍ أجابوا كلُّهم جواباً واحداً، وهم في هذا الأمر بواءٌ سواءٌ ونُظَراءُ»[4].

- قال الجوهري: «وبَوّأت للرجل منزلاً، وبوّأته منزلاً بمعنى، أي: هيَّأته ومكَّنت له فيه، واستباءَه، أي: اتَّخذه مَباءة، وهو ببيئَةٍ سَوء، مثال بِيعة، أي: بحالة سوء، وإنه لحسن البيئة»[5].

---

(١) أساس البلاغة: ٤٩٩.

(٢) سورة يونس: الآية: ٩٣.

(٣) كتاب العين: ٨: ٤١١.

(٤) معجم المقاييس: ١٥٨.

(٥) الصحاح: ١٢٠.

- قال الراغب: «أصل البواء: مساواة الأجزاء في المكان خلاف النُّبُوِّ الذي هو منافاة الأجزاء، يقال: مكانٌ بَواء: إذا لم يكن نابياً بنازلة، وبوَّأتُ له مكاناً: سوّيتهُ فتبوَّأ»[1].

- قال الزمخشري: «ومن المجاز: الناس في هذا الأمر بَواءٌ، أي سواء، وكلّمناهم فأجابوا عن بَواءٍ واحدٍ، إذا لم يختلف جوابُهم، وفلان طيب الباءة: للعفيف الفَرْجِ، جُعِل طيبُ الباءةِ، وهي المَباءةُ والمَنْزِلُ، مَجازاً عن ذلك، وهو رَحْبُ المَباءة للسَّخيّ الواسعِ المعروفِ»[2].

إن نظرة في أقوال العلماء أعلاه تُبين الآتي:

١. بوأ: تدل على: الرجوع إلى الشيء (المنزل، أو غيره).

٢. بوأ: تدل على: المساواة بين الشيئين والتهيئة.

٣. بوأ: يستعمل مجازاً للدلالة على العفة والسعة.

المطلب الرابع: معنى: (المدخل) و(المخرج)

- قال الخليل: «الخروج: نقيض الدخول، خَرجَ يَخْرُجُ خروجاً»[3].

- قال ابن فارس: «الدال والخاء واللام أصلٌ مطّرد منقاس، وهو الولوج».

وقال أيضاً: «خرج: الخاء والراء والجيم، أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما،... فالأوّل: النفاذُ من الشيء، والثاني: اختلاف لونين، فأمّا الأوّل: فقولنا: خرج يخرج خروجاً، وأمّا الأصل الآخر: فالخروج لونان بين سوادٍ وبياضٍ[4]، يقال نعامة خَرْجاء

(١) المفردات: ١٥٨.

(٢) أساس البلاغة: ٥٥.

(٣) كتاب العين: ٤: ١٥٨.

(٤) هذا المعنى لا علاقة له بتوجيه العبارة، وذكرناه لقول ابن فارس (أصلان) ليطلع القارئ على الأصل الثاني وما دلالته.

وظليم أخرج»[1].

- قال الجوهري: «والمَدْخَل بالفتح، الدُّخول وموضعُ الدّخول أيضاً، تقول: دَخَلْتُ مَدْخلاً حسناً، ودَخَلْتُ مَدْخَل صِدْقٍ، المُدْخَلُ بضم الميم: الإدْخالُ، والمفعول من أدْخَلَهُ تقول: أدْخَلْتُهُ مُدْخَلَ صدقٍ».

وقال: «وقد يكون المَخرج موضع الخروج، يقال: خرج مَخْرجاً حسناً، وهذا مَخرَجُهُ، وأما المُخرج فقد يكون مصدر قولك: أخْرَجَهُ، والمفعول به، واسم المكان والوقت، تقول: وأخرجني مُخرج صدق، وهذا مُخْرَجُهُ لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالميم منه مضمومة»[2].

- قال الراغب: «دخل: الدخول: نقيض الخروج، ويستعمل ذلك في المكان والزمان والأعمال، يقال دخل مكان كذا، قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾[3] فَمَدخل من دَخَل يَدْخُلُ، ومُدْخل من أدْخَلَ».

وقال: «خرج خُرُوجاً: بَرَزَ مِن مقرِّه، أو حالِه، سواءٌ كان مقرُّهُ داراً، أو بلداً، أو ثوْباً، وسَوَاءٌ كان حالُهُ حالَةً في نَفسِه، أوْ في أسْبابِهِ الخارجَة»[4].

- وقال الزمخشري: «من المجاز: خرج فلان في العلم والصناعة خروجاً، إذا نبغ، وخرّجه فلان فتخرَّج وهو خرِّيْجه... وخرجت السماءُ خروجاً: أصحت وانقشع عنها الغيم»[5].

(١) معجم المقاييس: ٣١٣، مادة (خرج)، و٣٧٨ مادة (دخل).
(٢) الصحاح: ٣٦٣ مادة (دخل)، و٣١١ مادة (خرج).
(٣) سورة الأسراء: الآية: ٨٠.
(٤) المفردات: ٣٠٩ مادة (دخل)، و٢٧٨ مادة (خرج).
(٥) أساس البلاغة: ١٥٤.

إنّ نظرة دقيقة تبين الآتي:

١. الدخول: نقيض الخروج، والخروج: نقيض الدخول.

٢. يدل الدخول على الولوج في الشيء، والخروج على النفاذ من الشيء.

٣. صيغتيها جاءت من (أَفْعَلَ) ومن أهم معانيها تعدية الفعل على الفاعل.

المطلب الخامس: معنى: (اللسان)

- قال الخليل: «اللّسان ما ينطق، يُذكَّر ويؤَنَّث... ورجلٌ لَسِنٌ: بيِّن اللَّسَن، واللِّسانُ: الكلام من قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[١]»[٢].

- قال ابن فارس: «لسن: اللام والسين والنون، أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على طولٍ لطيفٍ غير بائن، في عضوٍ أو غيرِهِ، من ذلك اللّسان»[٣].

- قال الجوهري: «اللّسان: جارحة الكلام، وقد يكنى عن الكلمة فتؤنث حينئذٍ... وفلانٌ لِسان القوم، إذا كان المتكلم عنهم»[٤].

- قال الراغب: «اللّسانُ: الجارحة وقوتها، وقوله ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾[٥]، يعني به من قوّة لسانه»[٦].

- قال ابن سيده: اللسانُ اللُّغَةُ مؤنَّثَةٌ لا غير، واللّسان الرِّسالة كذلك، وأَلْسَنَةُ ما يقُول أي: أَبْلَغَهُ وأَلْسَنَ عنه بلَّغ واللِّسْنُ الكَلامُ واللُّغَةُ»[٧].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: ٤.

(٢) كتاب العين: ٧: ٢٥٦.

(٣) معجم المقاييس: ٩٥٣.

(٤) الصحاح: ١٢٥٥، وينظر: لسان العرب: ١٣: ٣٨٥.

(٥) سورة طه: الآية: ٢٧.

(٦) المفردات: ٧٤٠.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد

- قال الزمخشري: «من المجاز: فلانٌ يَلُسُّ لي الأذى: يدسّها»[1].

إنّ قراءةً لهذه التعريفات تدلُّ على الآتي:

١. اللسان: هو جارحة الكلام، أي: الأداة التي ينطق بها.

٢. أصل دلالته اللُّغوية تدل على: طولٍ لطيف.

٣. يعبر عن اللسان للدلالة على الكلام، واللغة، والقوة، والرسالة.

المطلب السادس: معنى: (الوعد)

- قال الخليل: «الوَعْدُ والعِدَةُ يكونان مصدراً واسماً، فأما العِدَةُ فتجمع: عِدات، والوعد لا يجمع، والموعِدُ: موضع التّواعُدِ، وهو الميعادُ، والمَوْعِدُ مصدرُ وَعَدْتُهُ وقد يكون الموعِدُ وقتاً للعدة»[2].

- قال ابن فارس: «الواو والعين والدال كلمةٌ صحيحة تدلُّ على ترجيةٍ بقولٍ، يقال: وَعَدْتُهُ أعِدُهُ وَعْداً، ويكون ذلك بخير وشر»[3]، والوعيد في الشر خاصة»[4].

- قال الزمخشري: «ومن المجاز: وعدتُه شراً، قال تعالى ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾[5]، وأصبحت أرضهم واعدة، إذا رُجِيَ خَيرُها»[6].

نلحظ أن التعريفات اللُّغوية دللت على الآتي:

١. الوعد يدلُّ على ترجية بقول.

هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ٨: ٤٩٧.

(١) أساس البلاغة: ٥٦٧.

(٢) كتاب العين: ٢: ٢٢٢.

(٣) معجم المقاييس: ١٠٩٧.

(٤) المفردات: ٨٧٥، وينظر: الصحاح: ١٢٥٥.

(٥) سورة البقرة: الآية: ٢٦٨.

(٦) أساس البلاغة: ٦٩٧.

٢. الوعد يقال في الخير والشر.

المطلب السابع: معنى: (المقعد)

- قال ابن الخليل: «قعد: يَقْعُدُ قُعُوداً (خلاف قام) والقَعْدةُ المرَّةُ الواحدة»[١].

- قال ابن فارس: «القاف والعين والدال أصل مطّرد منقاس لا يُخْلِف، وهو يضاهي الجلوس وإن كان يُتكلّم في مواضعَ لا يُتكلم فيها بالجلوس»[٢].

- قال الجوهري: «قَعَدَ قُعوداً ومَقْعَداً، أي: جلس، وأقْعَدَهُ غيره»[٣].

- قال الراغب: «القعود يُقابل به القيام... والمَقْعَدُ: مكان القعود وجمعه: مقاعد، قال تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[٤] أي في مكان هُدُوٍّ»[٥].

- قال الزمخشري: «ومن المجاز: قعد عن الأمر: تركه، وقعد له: اهتم به، وقعد يشتمني: أقبل»[٦].

إن قراءة في التعريفات أعلاه تُظهر الآتي:

١. القعود يشابه الجلوس لكن له دلالته الخاصة به[٧].

٢. المقعد مكان القعود.

---

(١) كتاب العين: ١: ١٤٢.

(٢) معجم المقاييس: ٨٩٦.

(٣) الصحاح: ٩٥٥.

(٤) سورة القمر: الآية: ٥٥.

(٥) المفردات: ٦٧٩.

(٦) أساس البلاغة: ٥١٨.

(٧) سنبين هذه الدلالة عند توجيه قوله تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾

المبحث الثاني:
الدراسة الموضوعية

المطلب الأول: قوله تعالى ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾

وردت هذه العبارة في قوله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]

أولاً: بين يدي الآية

أ. الآية مكية جاءت في سورة يونس، وهي من السور المكية[2].

ب. القراءات: قوله ﴿ لَسَٰحِرٌ ﴾

- قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، بالألف وكسر الحاء.

- والباقون، بغير ألف مع سكون الحاء (لسِحْر)[3].

قال مكي: وحجة من قرأ بغير ألف أنه جعل الإشارة إلى ما جاء به النبي ﷺ، وحجة من قرأ بألف أنه جعل الإشارة إلى النبي ﷺ[4].

---

(١) سورة يونس: الآية: ٢.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٢: ٨٠، والمحرر الوجيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٨٩٥.

(٣) ينظر: التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد بيومي، دار الغد الجديد، القاهرة - مصر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ١١٩، والنشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط/ ٣، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٢: ١٩٢.

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحُججها: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي

ت. للآية سبب نزول: قال ابن عباس لما بعث الله تعالى محمداً ﷺ رسولاً أنكر عليه الكفار وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

ث. المعنى الإجمالي: تُبين الآيةُ إنكار الناس لنزول الوحي وهو القرآن الكريم، على رجل منهم، وهو محمد ﷺ رسول الله، فأنذر وبشر، لكنْ الكافرون قالوا: إنّ هذا النبيَّ لساحر وجاء بسحرٍ مبين.

ثانياً: توجيه قوله ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ دلالياً

أ. الدلالة اللُّغوية[2]:

قدم: تدلّ على السابقة

صدق: هو نقيض الكذب وكمال الشيء وقوته

قدم صدق: سابقة كاملة قوية لا كذب فيها

ب. الدلالة التفسيرية:

تعددت أقوالُ المفسرين وأصحابُ كتب المعاني في بيان المراد بقوله ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ ﴾ وهي:

(ت٤٣٧هـ)، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ١: ٤٥٩، وينظر: الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: لنصر بن علي بن محمد أبي عبدالله الشيرازي، الفسوي النحوي، المعروف بأبي مريم (ت٥٦٥هـ)، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٢: ٦١٤.

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ١١: ١٠٥، وينظر: أسباب نزول القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/ ٤، ٢٠٠٩م: ٢٧٠.

(٢) الدلالة في هذا المطلب والمطالب اللاحقة مأخوذة من المبحث الأول.

١- منزل صدق ٢- سابقة صدق ٣- ثواب صدق ٤- العمل الصالح
٥- سلف صدق ٦- أجرٌ حسنٌ ٧- محمد ﷺ يشفع لهم ٨- خير[١]

وقال النحاس: وهذه الأقوال متقاربة، تدلُّ على: المنزلة الرفيعة[٢].

ت. الدلالة السياقية:

١. سياق الآية: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ هو تفسير للبشارة التي سبقتها ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، لأنهم آمنوا بالوحي، «والإيمان هو التصديق»[٣]، بما جاء به القرآن، فالمؤمن دأبه أن يسارع ليكون من السابقين إلى الإيمان، فناسب أن يكون الجزاء من جنس العمل.

قال البقاعي: «﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي أعمالاً حقة ثابتة قدموها لأنفسهم صدقوا فيها وأخلصوا... وزاد في البشارة بقوله ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وفي إضافة القدم تنبيه على أنه يجب أن يخلص له الطاعة كإخلاص الصدق من شوائب الكذب»[٤].

قال أبو السعود: "وقيل مقام صدق، والوجه أن الوصول إلى المقام، إنما يحصل بالقدم، وإضافتها إلى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها، وللتنبيه على أن مدار نيل ما نالوه من

(١) وينظر: مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١١هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ١٠٧، وتفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م: ١٩٤، وجامع البيان: ١١: ١٠٦، ومعاني القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ١: ٤٧٥.

(٢) معاني القرآن: للنحاس: ١: ٤٧٥، وينظر: الكشاف: ٤٥٦.

(٣) المفردات: ٩١.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥ه)، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٣: ٤١٤.

مراتب العلية هو صدقُهم فإن التصديق لا ينفك عن الصدق»[1].

٢. سباق الآية: إن هذه الآية منسجمة مع الآيات التي سبقتها في خاتمة سورة (التوبة)، إذ يقول سبحانه ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾[2]، والسورة مما أوحى الله، وقال تعالى ﴿ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ﴾[3] أي: تركوا التفقه وفهم السورة المنزّلة، ثم قال سبحانه ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾[4] فالرجل الذي ذُكِر في بداية سورة يونس هو رسول الل ﷺ ثم قال ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾[5] أي: أعرضوا، ولم يتبعوا القرآن، فلم تكن لهم سابقة في الإيمان فذكر سبحانه الإنذار لهم بعدها بقوله ﴿ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾[6].

٣. لحاق للآية: قال سبحانه في الآية ﴿ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ ثم بيّن معنى (الربَّ) بعدها بقوله سبحانه ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[7] ثم قال ﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا ﴾[8] أي إليه لا إلى غيره، ثم قال ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ وسواء أراد المرجع المعاد، أو أراد ما بعد المرجع من المنزلة الرفيعة للمؤمنين أي: ﴿ قَدَمَ

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: ٣: ٢٠٩، وينظر: الكشاف: ٥٦.

(٢) سورة التوبة: الآية: ١٢٧.

(٣) سورة التوبة: الآية: ١٢٧.

(٤) سورة التوبة: الآية: ١٢٨.

(٥) سورة التوبة: الآية: ١٢٩.

(٦) سورة يونس: الآية: ٢.

(٧) سورة يونس: الآية: ٣.

(٨) سورة يونس: الآية: ٤.

صِدْقٍ ﴾، أو العذاب الأليم للكافرين، و(الحق) يناسب (الصدق)[1].

فيكون معنى الآية: لكم سبق في منزلة رفيعة تنالونها يوم القيامة صادقة لا كذب فيها وهي حقيقة واقعة ثابتة كالقدم القوية المتمكنة من الثبات.

تنبيه: إن استعمال هذه العبارة له دلالاته، إذ المُخبر عنه هو من الأمور الغيبية (المنزلة الرفيعة في الجنة)، وكذلك لمراعاة أحوال المخاطبين (سياق الموقف) لأنهم أصحاب عهدٍ جديدٍ في الإيمان، ليكون أثرُ العبارة في النفس أقوى تأثيراً.

المطلب الثاني: قوله تعالى ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾

وردت هذه العبارة في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[2]

أولاً: بين يدي الآية:

أ. الآية مكية جاءت في سورة يونس وهي من السور المكية[3].

ب. القراءات: لا توجد[4].

ت. سبب النزول: لا يوجد.

ث. المعنى الإجمالي: أخبر سبحانه وأكد خبره بالقسم أنه بوّأ بني إسرائيل مبوّأً صادقاً، وكذلك رزقهم من الطيبات.

---

(١) قال ابن فارس: حقّ: الحاء والقاف أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على إحكام الشيءِ وصحّته، فالحق نقيض الباطل، ينظر: معجم المقاييس: ٢٤٤، فالعلاقة بينهما واضحة فإحكام الشيء يحتاج إلى قوةٍ، والصدق نقيض الكذب والكذب هو الباطلُ، والحق نقيض الباطل أيضاً.

(٢) سورة يونس: الآية: ٩٣.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م: ١: ٢٤٩.

(٤) نقصد بـ(القراءات غير الموجودة) التي لها أثر في التفسير فقط، وقد أشرت إلى ذلك في المقدمة.

ثانياً: توجيه قوله ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ دلالياً

أ- الدلالة اللُّغوية:

بوأ: يدلّ على معنيين أحدهما: الرجوع إلى الشي، والآخر: التساوي بين شيئين.

صدق: هو نقيض الكذب، وكمال الشيء وقوته.

مبوّأ صدقٍ: له معنيان: الأول: الرجوع إلى الشيء (المنزل، المكان) بقوة وتمكن وعلى أكمل وجه حقيقة لا كذب فيها. الثاني: سيتساوى (المنزل أو المكان الذي هيئتموه) مع غيره من المنازل والأماكن في كمال الهيأة والقوة والتمكن في الوجود، أو أنزلنا بني إسرائيل منزلاً مساوياً لمنازل المصريين سواء أكان النزول في منازل المصريين نفسها أم غيرها، مساوياً لها في القوة والتمكن وكمال الهيأة فهذا حقيقة وقعت لا كذب فيها.

ب- الدلالة التفسيرية:

تنوعت أقوال المفسرين وأصحاب كتب المعاني في تفسير قوله ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ وهي:

١- منازل صدقٍ
٢- منزلٌ كريمٌ
٣- منزلٌ صالح مرضي
٤- مكانٌ محمود[1]

هذه الأقوال متقاربة المعنى، وبين العلماء مكان هذه المنازل فقالوا: في الشام وبيت المقدس، وقيل الشام ومصر[2].

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة: ١٩٩، وجامع البيان: ١١: ٢٠٦، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: لجمال الدين عبدالرحمن بن علي المعروف بـ(ابن الجوزي) (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ١٥٧، ومفاتح الغيب (التفسير الكبير): لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: هاني الحاج، وعماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، ٢٠٠٣: ١٧: ١٣٢.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١١: ٢٠٦، ومعاني القرآن: النحاس: ١: ٤٩٢.

ت- الدلالة السياقية:

١. سياق الآية: بدأت الآية بالقسم الذي يؤكد الكلام ويقويه[١]، ثم أكده بقوله (مبوّأ)[٢] ثم أضافه إلى (الصدق) وهو: القوة والتمكن في الشيء، فنلحظُ أن الخبر تقوى من عدّة وجوه، وهذا يتناسب مع دلالة قوله ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ التي تدلُّ على معنيين بحسب دلالته اللُّغوية.

المعنى الأول: أرجعنا بني إسرائيل إلى منازلهم رجوعاً، فيه قوةٌ وتمكن، كامل الهيأة، وهو حقيقة واقعة لا كذب فيها.

المعنى الثاني: أنزلنا بني إسرائيل بيوتاً مساويةً في القوّةِ والتمكنِ والمنزلةِ وكمالِ الرفعةِ لبيوتِ المصريين.

الدلالة السياقية على المعنى الأول: فسّر العلماءُ ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ بالمنزل الكريم الصالح المرضي المحمود، فدلَّ هذا على أن لهم منزلاً كريماً كانوا يسكنونه ورجعوا إليه، ويؤيد ذلك أمران: الأول: إن فرعون أذاق بني إسرائيل صنوف العذاب، ومنها الإهانة والتجاوز على حقوقهم وأملاكهم، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ [٣] ﴾[٤]، والأمر الآخر: إن أول من أدخل

(١) ينظر: معاني النحو: د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط/ ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م: ٤: ١٣٥.

(٢) مبوّأ: يجوز أن يكون مصدراً (مفعولا مطلقاً) أو مكاناً أو مفعولاً ثانياً، ينظر: التبيان في إعراب القرآن: لعبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت٦١٦هـ)، شركة القدس، القاهرة - مصر، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م: ٢: ٢٢، والشافي الوجيز في إعراب كتاب الله العزيز: حسن طه حسن السنجاري، مطبعة أنوار دجلة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ٢٥٢.

(٣) السَّرَفُ: تجاوزُ الحَدَّ في كُلِّ فعل يفعله الإنسان. ينظر: المفردات: ٤٠٧.

(٤) سورة الدخان: الآيتين: ٣٠-٣١.

بني إسرائيل مصر هو نبي الله يوسف عليه السلام قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾[1]، يقول ابن عاشور: "ثم كانت سكنى بني إسرائيل مصر بسبب تنقل يعقوب وأبنائه إلى مصر حين ظهر أمر يوسف عليه السلام وصار بيده حكم المملكة المصرية السفلى، وكانت معاشرة الإسرائيليِّين للمصريِّين حسنة زمناً طويلا... فحدث أسباب أو سوء ظنون أوجبت تنكر القبط على الاسرائيليِّين وكلفوهم أشقَّ الأعمالِ وسخّروهم في خدمة المزارع والمباني وصنع الآجُرِّ»[2].

الدلالة السياقية على المعنى الثاني: إن نظرة في سياق المقطع تدلُّنا على المعنى قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾[3] بإشارة سريعة خفية[4] ﴿ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾ أن يقوما بتهيئة منازل لقومهم مساوية لمنازل المصريين في الكمال والهيأة والمنزلة، إذ المهان تكون داره مهانة[5]، ولاسيما إذا كان هناك تعدٍّ ممن أهانهم وسخّرهم، ثم زاد سبحانه في رفع منزلة هذه البيوت فقال تعالى ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فشرّفها بذلك، لذا نلحظُ أن السياق بعدها يُبين أن موسى عليه السلام طلب من الله سبحانه أن يعاقب فرعون وملأَه، فقال جل ذكره ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾[6]، فجاء بعدها استدراج فرعون وجنوده إلى البحر فأغرقهم سبحانه، فعقّب مرّة أخرى بأن هذه البيوت هي مساوية لبيوت المصريين أو هي نفسها (بيوت اتباع فرعون المغرقين) فكان هذا التبوّأُ صِدقاً وحقيقةً واقعةً بقوّةٍ وتمكن لا كذب فيها،

(١) سورة يوسف: الآية: ٥٦.
(٢) التحرير والتنوير: ١: ٤٩١.
(٣) سورة يونس: الآية: ٨٧.
(٤) ينظر: معجم المقاييس: ١٠٨٥، والمفردات: ٨٥٨.
(٥) ينظر: زهرة التفاسير: لمحمد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي: ١/ ٣٦٢٩.
(٦) سورة يونس: الآية: ٨٩.

والسياق القرآني العام يؤيد ذلك قال تعالى ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، يقول سيد قطب عن تلك الفترة: «ولقد طاب المقام فترة لبني إسرائيل بعد تجارب طويلة لا يذكرها السياق هنا لأنها ليست من مقاصده، وتمتعوا بطيبات من الرزق الحلال، حتى فسقوا عن أمر الله فحُرّمت عليهم، والسياق لا يذكر هنا إلاّ اختلافهم بعد وفاق، اختلافهم في دينهم ودنياهم، لا على جهل ولكن بعد أن جاءهم العلم»[2].

٢. سباق للآية: قال الرازي: «أعلم أنه تعالى لما ذكر ما وقع عليه الختمُ في واقعة فرعون وجنوده ذكر أيضاً في هذه الآية ما وقع عليه الختم في أمر بني إسرائيل»[3].

٣. لحاق الآية: يقول سيد قطب: «بعد ذلك يجيء التعقيب على هذه الخاتمة لقصة موسى، ويبدأ خطاباً إلى الرسول ﷺ تثبيتاً بما حدث للرسل قبله، وبياناً لعلة تكذيب قومه له، أن ليس ما ينقصهم هو الآيات البينات إنما هي سنة الله في المكذبين قبلهم... وأنه لم يكن في شك مما أنزل الله إليه... ولكن هذا التوجيه يشي بما كان وراءه من شدة الموقف وتأزمه في مكة بعد حادث الإسراء، وقد ارتد بعض من أسلموا لعدم تصديقه، وبعد موت خديجة، وأبي طالب، واشتداد الأذى على الرسول ﷺ ومن معه، وبعد تجمد الدعوة تقريباً في مكة بسبب موقف قريش العنيد،...وكل هذه ملابسات تلقي ظلالها[4]

(١) سورة الدخان: الآيات: ٢٤-٢٨.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب (ت١٩٦٦هـ)، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط/ ٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٣: ١٨١٩.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٧: ١٣٢.

(٤) يشير سيد قطب (رحمه الله) إلى سياق الموقف.

على قلب رسول الله ﷺ، فيسري عنه ربه بهذا التوكيد، بعد ذلك القصص الموحى، ثم أنه تعريض بالشاكين الممترين المكذبين»[1].

إذاً فوجه المناسبة هو: المشابهة بين حال موسى عليه السلام مع قومه الذين اختلفوا بعد أن جاءهم العلم، وكذلك الأمر مع النبي محمد ﷺ وقومه قريش الذين اختلفوا معه بعد أن أنزل سبحانه آيات القرآن الكريم، وكلُّ ذلك لتسلية النبي ﷺ وتثبيته على الدعوة، والنهاية واحدة، قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في المقطع السابق ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[2] وقال تعالى عقب خطابه للنبي ﷺ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾[3].

المطلب الثالث: قوله تعالى ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾

وردت هاتان العبارتان في قوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾[4]

أولاً: بين يدي الآية:

أ. الآية مكية جاءت في سورة الإسراء، وهي من السور المكية[5].

---

(١) في ظلال القرآن: ٣: ١٨١٩-١٨٢٠.

(٢) سورة يونس: الآية: ٨٨.

(٣) سورة يونس: الآيتين: ٩٦-٩٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية: ٨٠.

(٥) ذكر المفسرون، أن السورة مكية، إلاّ بعض الآيات، وهي (٧٣، ٧٦، ٨٠)، وقد ردَّ ابن كثير، وابن عاشور ومحمد عزت دروزة هذه الأقوال وفنّدوها، وأثبتوا أن سياق الآيات يؤيد أنها مكية، وأشار إلى ذلك الألوسي، ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): لعماد الدين إسماعيل بن كثير

ب. القراءات: لا توجد.

ت. سبب النزول: «روي أن كفار قريش لما أرادوا أن يُوثقوا نبي الله ﷺ، ويخرجوه من مكة، أراد الله تعالى بقاء أهل مكة، وأمر نبيّه ﷺ أن يخرج مهاجراً إلى المدينة، ونزل قوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾»[1].

ث. المعنى الإجمالي: أمر سبحانه وتعالى نبيَّه ﷺ أن يدعوه ويطلب منه إدخاله مُدخلاً صادقاً وإخراجه مُخرجاً صادقاً، وأن يجعل له حجة بينة، وتكون له عوناً.

ثانياً: توجيه قوله تعالى ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ دلالياً.

أ. الدلالة اللغوية:

الدخول: الولوج[2] في الشيء.

(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد شراد الناصري، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م: ٣: ٥١، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، محمد حسن العرب، دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت: ٩: ٤، والتحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ت: ٧: ٦، ١٨٦، والتفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول): محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر، ١٣٨٣هـ: ٣: ٤١٩-٤٢٠، وأنا أُيد إلى ما ذهب إليه الأفاضل، لأن السياق متصل بعضه ببعض، ورواية سبب النزول تشهد بذلك.

(١) ينظر: سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ١٢٠٦، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل: رقم الحديث (٣١٣٩)، قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح، وجامع البيان: ١٥: ١٨٤، وأسباب النزول: للواحدي: ٢٩٨.

(٢) قال ابن فارس: "ولج: كلمة تدل على دخول الشيء"، المقاييس في اللغة: ١١٠٥، وقال الراغب: "الولوج: الدخول في مَضِيق"، المفردات: ٨٨٢، يتبين أن الدخول والولوج مترادفان وفق كلام ابن فارس، ويختلفان في نوع الدخول عند الراغب، أي: دخل: تدلُّ على دخول بدون تحديد لنوع الدخول،

الخروج: النفاذ من الشيء.

الصدق: نقيض الكذب، وكمال الشيء وقوته.

﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾، ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾: أدخلني (في الشيء أو الأمر) إدخالاً كاملاً قوياً متمكناً، لا كذب فيه، وأخرجني منه إخراجاً كاملاً قوياً متمكنا، لا كذب فيه.

ب. الدلالة التفسيرية:

تنوعت أقوال المفسرين، وأصحاب كتب المعاني في تفسير قوله ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ وهي:

١. دخول النبي ﷺ المدينة حين هاجر إليها، وخروجه ﷺ من مكة مهاجراً، ويشهد له سبب النزول، ورجحه الطبري بدلالة السياق(١).

٢. أدخلني قبري مُدخل صدق إي: إدخالاً حسناً، وأخرجني من قبري عند البعث إخراجاً حسناً، ورجحه القرطبي(٢).

أما الولوج: فيدل على دخول فيه نوع من العسر والضيق، وهذا لا يناسب دلالة الآية، وكذلك تبين لي عند النظر في الاستعمال القرآني لكمة (ولج) ومشتقاتها، أن القرآن الكريم استعملها فيما لا يعقل، أو مَنْ أُنزل منزلتهم كالجمل، والليل والنهار، أو البطانة التي لا تنفع ولا تضر، والأمطار، والدواب... إلخ، لَذا سأبقي على معنى الدخول وهو نقيض الخروج دون معنى الولوج لعدم أداء المعنى المراد بشكل كامل.

(١) قال الطبري وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك أدخلني المدينة مدخل صدق وأخرجني من مكة مخرج صدق، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لأن ذلك عقب قوله تعالى ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة الإسراء: الآية: ٧٦، ينظر: جامع البيان: ١٥: ١٨٥.

(٢) قال القرطبي: ليتصل بقوله ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ سورة الإسراء: الآية: ٧٩، كأنه لما وعده ذكر أمره أن يدعو ليُنجز له الوعد، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ١٠: ٢٠٣.

٣. أدخلني في أمر التبليغ، وأخرجني منه بالإعداد التام[١].

٤. أدخلني في الإسلام ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٍ﴾ وأخرجني منه ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٍ﴾[٢].

٥. أدخلني مكة آمناً، وأخرجني منها آمناً[٣].

٦. إدخاله الغار، وإخراجه منه سالماً[٤].

قبل أن أوجّه الآية، أودّ أن أُبين أن كل هذه الأقوال التي ذكرها العلماء محتمل مرادها، وربما كان بعضها أرجح من بعض بسبب مناسبته للسياق كما ذكر ذلك الطبري والقرطبي، أو تأييد سبب النزول (سياق الموقف)، إلا أن الطلب من النبي ﷺ، بأن يدعو بهذا الدعاء، ليس مقصوراً على دخول معين أو خروج، لكن الفترة التي نزلت فيها هذه الآية (العهد الملكي) لها ما يُناسبها من دخول وخروج كما ذكروا، إلا أنني أُرجّح شمول الآية لعموم الإدخال والإخراج الذي يشرع به النبي ﷺ، وهو يشمل كل حياته ﷺ الإنسانية، والاجتماعية، والسياسية، سواء أكان في مجال الدعوة، أم الحرب، أم السلم، أم إبرام المعاهدات، أم... إلخ فكل ذلك مطلوب من النبي ﷺ أن يدعو ربَّه بأن يدخله في ذلك الشيء أو الأمر، وأن يكون دخوله ﴿مُدۡخَلَ صِدۡقٍ﴾ وخروجه منه ﴿مُخۡرَجَ صِدۡقٍ﴾ لأجل حصول التوفيق والسداد[٥].

أ- الدلالة السياقية:

١. سياق الآية: بدأت الآية: قل يا محمد أدخلني يا رب في (الشيء، أو الأمر الذي

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ١١٦٢.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١٥: ١٨٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: الكشاف: ٦٠٦، وإرشاد العقل السليم: ٤: ١٥٢.

(٥) أشار بعض العلماء إلى عموم الدخول والخروج كابن عطية والزمخشري، ينظر: المحرر الوجيز: ١١٦٢، والكشاف: ٦٠٦.

تريد أن تدخلني فيه) دخولاً حسناً كاملاً متمكناً لا كذب فيه (أي سيقع حتماً لا محالة)، وأخرجني من (الشيء الذي أدخلتني فيه) خروجاً حسناً كاملاً قوياً متمكناً لا كذب فيه، ثم عطف سبحانه عليه طلباً آخرَ وهو أن يجعل له أي: النبي ﷺ سلطاناً نصيراً، فهذا يتناسب ويتناغم مع النظم القرآني للآية الدال على القوة والتمكن، فالسلطان هو: "القوة والتمكن من القهر"[1] لأجل الانتصار على من يعتدي، فعند ذاك يكون النبي ﷺ قد استكمل كل عناصر القوة الإلهية من التمكن والكمال، وهذا كله يُناسب سياق الموقف أي الحال التي كان عليها ﷺ وأصحابه من ضعفٍ وتسلط المشركين عليهم، لذا يلحظ كلُّ متتابع لمراحل سيرة النبوية، أن حال النبي ﷺ وأصحابه في نشر الرسالة قد سار في طريق الارتقاء والتقدم في كل شؤون الدعوة بعد نزول هذه الآية[2].

قال سيد قطب: «دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج كناية عن صدق الرحلة كلها بدئها وختامها أولها وآخرها، وما بين الأول والآخر»[3].

٢. سباق الآية: قال البقاعي: «ولما كان هذا المقام صالحاً للشفاعة[4]، ولكل مقام يقومه، وكان كل مقام يحتاج إلى التوفيق في مباشرته والانفصال عنه، تلاه حاثاً على دوام المراقبة واستشعار الافتقار بقوله مقدماً المدخل لأنه الأهم"[5].

وقال سيد قطب: «وللصدق هنا قيمته بمناسبة ما حاوله المشركون من فتنته عما أنزل الله عليه ليفتري على الله غيره، وللصدق كذلك ظلاله، ظلال الثبات، والاطمئنان،

---

(١) ينظر: المقاييس في اللغة: ٤٨٩، والمفردات: ٤٢٠.

(٢) قال ابن عاشور: والظاهر أن هذه الآية نزلت قُبيل العقبة الأولى التي كانت مقدمة للهجرة إلى المدينة، ينظر: التحرير والتنوير: ٧: ١٨٦.

(٣) في ظلال القرآن: ٤: ٢٢٤٧.

(٤) يقصد قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ سورة الإسراء: الآية: ٧٩.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤: ٤١٧.

والنظافة والإخلاص"[1].

ومن ذلك مناسبتها لقوله ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾[2] وقوله ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾[3] إذ المشركون حاولوا فتنته ﷺ عما أُوحي إليه ليفتري غيره، إلا أن الله ثبته وعصمه من ذلك، ثم حاولوا مرّة أخرى استفزازه، وإخراجه ﷺ عنوة، وقسّراً، ولحلّ الهلاك بقريش قال تعالى ﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4] فتدخلت القدرة الإلهية في هذين الأمرين، دون طلبٍ من النبي ﷺ، فجاءت هذه الآية لتعلِّم النبيَّ ﷺ هذا الدعاء ليعصمه من الخطأ في كل أمر ويُوفقه إلى كلِّ خير، وينصره على كلِّ عدوّ.

٣. لحاق الآية: قال الرازي: "قال تعالى ﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾[5] أي حجة بينة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني، وبالجملة فقد سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية على من خالفه بالحجة والقهر والقدرة، وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه بأنه يعصمه من الناس ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[6] ولما سأل الله النصرة بيّن الله له أنه أجاب دُعاءه فقال ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾[7] وهو دينه وشرعه ﴿ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[8] وهو كل ما

(١) في ظلال القرآن: ٤: ٢٢٤٧.
(٢) سورة الإسراء: الآية: ٧٣.
(٣) سورة الإسراء: الآية: ٧٦.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) سورة الإسراء: الآية: ٨٠.
(٦) سورة المائدة الآية: ٦٧.
(٧) سورة الإسراء: الآية: ٨١.
(٨) سورة الإسراء: الآية: ٨١.

سواه من الأديان والشرائع"[1].

المطلب الرابع: قوله تعالى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾

وردت هذه العبارة في آيتين: الأولى: في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[2]، والأخرى: في قوله تعالى ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[3]

أولاً: بين يدي الآيتين:

أ. الآيتان وردتا في سورتي مريم والشعراء، وهما من السور المكية[4].

ب. القراءات: لا توجد

ت. سبب النزول: لا يوجد

ث. المعنى الإجمالي:

- لآية مريم: ووهبنا أي: «أعطينا الجميع (إبراهيم، وإسحق ويعقوب) كل الخير الديني والدنيوي، وصيّرنا لهم ذكراً حسنا»[5].

- لآية الشعراء: «صير لي ذكرا حسنا وثناءً عاطراً، يذكرني من يأتي بعدي إلى يوم القيامة»[6].

---

(١) مفاتح الغيب: ٢١: ٣١.

(٢) سورة مريم: الآية: ٥٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية : ٨٤.

(٤) وقد اختلف في آية سجدتها (مريم / ٥٨) فقالت فرقة: إنها مكية، وقيل إنها مدنية، والحق أنها مكية، لأن من الاستعمالات المطّرد في القرآن ورود الآيات التي فيها سجدة في السورة المكية وكذلك ما رجحه بعض أهل الاختصاص من اتساقها وسبك موضوعها في السياق الذي وردت فيه، ينظر: تفسير مقاتل: ٢: ٣٠٦، والمحرر الوجيز: ١٢١٧، والتفسير الحديث: ٣: ١٤١.

(٥) صفوة التفاسير: ٢: ٢٢٠.

(٦) صفوة التفاسير: ٢: ٣٤٨.

ثانياً: توجيه قوله تعالى ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ دلالياً.

أ. الدلالة اللغوية:

لسان: هو الجارحة، ومشتق من لسن الدال على: طولٍ لطيف.

صدق: نقيض الكذب، وهو الكمال في الشيء وقوته.

لسان صدق: طول لطيف (في الشيء) فيه الكمال والقوة.

ب. الدلالة التفسيرية: تعدد أقوال المفسرين، وأصحاب كتب المعاني في تفسير قوله ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ هي:

١. الثناء الحسن والذكر الجميل[١].

٢. اجتماع الأمم عليه[٢].

٣. الرسالة الصادقة[٣].

٤. الوفاء بالمواعيد والعهود.

ت. الدلالة السياقية:

١. سياق الآية:

---

(١) أغلب المفسرين على هذا القول، ينظر: تفسير مقاتل: ٢: ٣١٥، ومعاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد القراء (ت٢٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٢: ١٧، ومجاز القرآن: لأبي عبيدة: ١٩٨، وغريب القرآن: ابن قتيبة: ٢٧٤، وجامع البيان: ١٦: ١٢٤، ومعاني القرآن: النحاس: ٢: ٧٣٠.

(٢) معاني القرآن: النحاس: ٢: ٨٥٨.

(٣) هذا القول والذي بعده ذكرهما الماوردي، وهو مما يحتمله مجاز اللفظ، فالرسالة هي قول القائل، والوفاء بالمواعد والعهود، يُراد به تمكنه من الإيفاء (الصدق) بما قال من عهدٍ ووعدٍ، ينظر: النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بـ(الماوردي) (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ت: ٣: ٣٧٥.

- آية مريم: بدأت الآية بقوله ﴿ وَوَهَبْنَا ﴾ أي: وهبنا بما لنا من العظمة،

والهبة هي: «أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض»[1]، والمعنى: أنه سبحانه وهب ما يملك (وهو مالك كل شيء) لمن لا يملك بغير عوضٍ، ﴿ لَهُم ﴾ أي: إبراهيم وإسحاق، ويعقوب (عليهم السلام)، ﴿ مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾ من: دالة على التبعيض، والرحمة هي: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، والمعنى: بعض من إنعامه وإفضاله وإحسانه[2]، ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ أي: صيّرنا لهم لمن شملناهم برحمتنا ذكراً حسناً عالياً، فسبحانه لما أسند الهبة والجعل له بضمير العظمة دلّ على عِظم ما وهب وما جعل، ولما كانت الهبة عامة لم تحدد لتشمل جميع نعمه سبحانه، فلم يضف أو يخصص، أما الجعل، فحدده باللسان فأضافه إلى الصدق: وهو الكمال والقوة في الشيء، فهذا يناسب سياق الآية إذ التعظيم هو: «الكبر، والقوة»[3].

"ووصف بالعلو لأن أهل الملل تحسن الثناء عليهم"[4]، ويدلُّ أيضاً: "على أحقيتهم بما يُثنون عليهم"[5]، وقوله ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ مجاز مرسل من إطلاق اسم الآلة وهي اللسان لأنها آلة الكلام، وإرادة ما ينشأ عنها، فعبّر باللسان عما يوجد باللسان كما عبّر باليد عما يطلق باليد، وهو العطاء، فهو مجاز علاقته السببية[6].

فقول المفسرين (ذكراً) يناسب (اللسان) وقولهم (حسناً) يناسب (علياً) أما إضافته

(١) المفردات: ٨٨٤.
(٢) المفردات: ٣٤٧.
(٣) المقاييس في اللغة: ٧٨٩.
(٤) جامع البيان: ١٦: ١٢٤.
(٥) إرشاد العقل السليم: ٤: ٢٤٥.
(٦) الكشاف: ٦٣٩، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، ط/ ٩، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ٤: ٦١٢.

إلى الصدق فيناسب سياق الآية، الدال على العظمة، وعلى تمكن هذا القول وقوته وكماله.

آية الشعراء: فإنها بدأت بدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، فطلب هاهنا، واستجاب سبحانه له في آية مريم، قال الزمخشري: استجاب الله دعوته، فصيّره قدوة حتى ادّعاه أهل الأديان كلهم قال تعالى ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1] وقوله ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[2] وقوله ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[3] فأعطى ذلك ذرّيته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه[4]. إذاً بين الآيتين تكامل سياقي.

هذا من حيث مجاز العبارة، أما من حيث الدّلالة اللُّغوية الأصلية وهي: طولٌ لطيف فيه الكمال والقوة، فالطول هو: "الامتداد"[5]، واللطف هو: الرفق والمودة الموصول بصورة دقيقة كريمة[6]، فما العلاقة بين المعنى المجازي والدلالة اللغوية.

العلاقة واضحة جداً: فسيدنا إبراهيم عليه السلام لما لم يؤمن أحد من قومه ولم يكن له اتباع يحملون رسالته من بعده ولم يكن له ولد، إذ الاتباع والأولاد يدعون لمن علّمهم وأحسن إليهم[7]، فأحسّ عليه السلام أن ذكره ربما يندثر بمرور الأيام فطلب من ربِّه ذكراً ممتداً لطيفا قوياً

(١) سورة الحج: الآية: ٧٨.
(٢) سورة النساء: الآية: ١٢٥.
(٣) سورة النحل: الآية: ١٢٣.
(٤) الكشاف: ٦٣٩.
(٥) المقاييس في اللغة: ٦٢٩.
(٦) قال الراغب: ويُعَبَّرُ باللطافة، واللُّطف عن الحركة الخفيفة وعن تعاطي الأمور الدقيقة، وقد يُعَبَّرُ باللّطائف عمّا لا تُدرِكُهُ الحاسة... وقد يُعَبَّرُ عن التُّحَفِ المُتَوَصّلِ بها إلى المَوَدِّة باللُّطفِ، ينظر: المفردات: ٧٤٠.
(٧) قال ﷺ: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))، صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)،

كاملا لا كذب فيه باقيا ببقاء الأيام إلى يوم القيامة ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾

١. سباق الآية:

- آية مريم: جاءت هذه الآية في نهاية سياق المقطع الخاص بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواره مع أبيه.

- آية الشعراء: هذه جاءت في وسط المقطع الخاص بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواره مع أبيه وقومه، وقد تضمّن سلسلة من الدعوات التي رفعها إلى ربِّه، ففصّلها في هذا المقطع[1]، وأجملها في سياق المقطع الخاص بأية مريم قال تعالى ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾[2].

٢. لحاق الآية:

- آية مريم: قال سيد قطب: "ثم يمضي السياق مع ذرية إبراهيم مستطرداً مع فرع إسحاق، فيذكر موسى وهارون"[3].

- آية الشعراء: وهذه منسجمة تماماً، فهي في وسط سياق المقطع الخاص بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ثم يعقب السياق بقصة أخرى من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م: ٧١٢، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث (١٦٣١).

(١) ينظر: قوله تعالى ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧﴾ سورة الشعراء: الآيات: ٨٣-٨٧.

(٢) سورة مريم: الآية: ٤

(٣) في ظلال القرآن: ٤: ٢٣١٣.

المطلب الخامس: قوله تعالى ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ﴾

وردت هذه العبارة في قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1]

أولاً: بين يدي الآية

أ. الآية مكية وردت في سورة مكية[2].

ب. القراءات في الآية: قوله ﴿ نَتَقَبَّلُ ﴾ و ﴿ وَنَتَجَاوَزُ ﴾

- قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب (يتقبل) و(يتجاوز) بياء تحتية مضمومة في الفعلين، على البناء للمفعول (أحسنُ) بالرفع نائب فاعل (يتقبل) وأما نائب فاعل (يُتجاوز) فهو الجار والمجرور بعده (عن سيئاتهم).

- قرأ الباقون، (نتقبل) (نتجاوز) بنون مفتوحة في الفعلين على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) والمراد به (الله) سبحانه وتعالى وقد جرى الكلام على نسق ما قبله لأن ما قبله قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾[3] و(أحسنَ) بالنصب مفعول به[4] والفاعل في القراءتين هو الله جل ذكره كما قال ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[5][6].

---

(١) سورة الأحقاف: الآية: ١٦.

(٢) وقد اختلف في الآيات (١٠، ١٥، ٣٥) وقيل أنها مدنية، والحق أنها مكية، نزلت بعد البعث بعامين، وفصول السورة مترابطة منسجمة في السياق والموضوع وطابعها العهد المكي، ينظر: تفسير مقاتل: ٤: ١٢، والمحرر الوجيز: ١٧٠٥، والتحرير والتنوير: ١٢: ٦، والتفسير الحديث: ٥: ٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآية: ١٥.

(٤) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، الدكتور: محمد سالم محسن، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط/ ٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٣: ٢٤٤.

(٥) سورة المائدة: الآية: ٢٧.

(٦) ينظر: جامع البيان: ٢٦: ٢٥، والكشف: مكي: ٢: ٣٧٣.

أ. أسباب النزول: لا يوجد[1]

ب. المعنى الإجمالي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿نَتَقَبَّلُ ﴾ منهم طاعاتهم ونجازيهم على أعمالهم بأفضلها ﴿ وَنَتَجَاوَزُ ﴾ أي: نصفح عن خطيئاتهم وزلاتهم، ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ في جملة أصحاب الجنة الذي نكرمهم بالعفو والغفران ﴿ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ أي: ذلك الوعد الصادق الذي وعدناهم به على ألسنة الرسل[2].

ثانياً: توجيه قوله تعالى ﴿ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ﴾ دلالياً

أ. الدلالة اللغوية:

وعد: الترجية بالقول

صدق: الكمال في الشيء وقوته وهو نقيض الكذب

وعد الصدق: ترجية كاملة قوية لا كذب فيها

ب. الدلالة التفسيرية: لم تتعدد أقوال العلماء في بيان الدلالة التفسيرية لقوله ﴿ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ﴾ وجاءت جميعها بمعاني متقاربة جداً، وهي: الجنة التي لا شك فيها[3].

ت. الدلالة السياقية:

١. سياق الآية: بدأت الآية بالإشارة إلى الذين اتصفوا بصفات ذكرت في الآية التي قبلها وهي: الإحسان إلى الوالدين، وشكر النعمة، والعمل الصالح المرضي، وطلب العون في إصلاح الذرية، والتوبة والإنابة إلى الحقِّ سبحانه، فمن اتصف بهذه، وعده

(١) الآية التي قبلها مرتبطة معها، وقد قيل أنها نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ينظر: المحرر الوجيز: ١٧١٠.

(٢) صفوة التفاسير: ٣: ١٩٦.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل: ٤: ٢١، وجامع البيان: ٢٦: ٢٥، والنكت والعيون: للماوردي: ٥: ٢٧٩، ومفاتيح الغيب: للرازي: ٢٨: ٢١.

سبحانه أنه سيقبل أعمالهم الحسنة ويتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم في عداد من هم أصحاب الجنة، فجيء بقوله تعالى ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ أي: الجنة، فالإضافة أكسبت المعنى دلالة أخرى وهي: كمال الترجية وقوتها وأنها صادقة لا كذب فيها، لكي يزداد المؤمن في السعي نحو عمل هذه الأعمال والاتصاف بها رجاء نيل وعد الله، ولما كان الجزاء أُخرويا، أُحتيج إلى التأكيد ليكون الرجاءُ أكثر ترغيباً فـ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة، لأن قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ في معنى الوعد بالتقبل والتجاوز[1] ﴿ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي الذي وعدهم إياه سبحانه على لسان رُسُله قال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2].

٢. سباق الآية: ظهر جلياً علاقة هذه الآية بالتي سبقتها عند توجيهها إلاّ أن هناك مناسبة أخرى، وهي لما قال سبحانه ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: جعل أولئك المتصفين بهذه الصفات من ضمن أصحاب الجنة، فمن هم أصحاب الجنة؟ هم الذين آمنوا بالله ثم استقاموا، وسباق السياق يوضح ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[3]، فبعد أن أثبت الجنة لهؤلاء وجعلهم أصحاب الجنة، عطف عليهم صنفاً آخر وهم الذين ذكرت صفاتهم في قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى

(١) ينظر: جامع البيان: ٢٦: ٢٥، والكشاف: ١٠١٢، وفتح القدير: ١٣٦٤.
(٢) سورة التوبة: الآية: ٧٢.
(٣) سورة الأحقاف: الآيتين: ١٣-١٤.

فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[1]

٣. لحاق الآية: لما مثّل تعالى لحال الإنسان البار بوالديه وما آل إليه حاله من الخير والسعادة مثّل لحال الإنسان العاق لوالديه وما يؤول إليه أمره من الشقاوة والتعاسة[2] فقال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

المطلب السادس: قوله تعالى: ﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾

وردت هذه العبارة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[4]

أولاً: بين يدي الآية

أ. الآية مكية وردت في سورة مكية[5].

ب. القراءات: لا توجد

---

(١) سورة الأحقاف: الآية: ١٥.

(٢) صفوة التفاسير: ٣: ١٩٦، وينظر: في ظلال القرآن: ٦: ٣٢٦١.

(٣) سورة الأحقاف: ١٧.

(٤) سورة القمر: الآية: ٥٤-٥٥.

(٥) قيل: إلا قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة القمر: الآية: ٤٥، فقد روي عن النبي ﷺ أنه خرج يوم بدر يثب على الدروع وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة القمر: الآية: ٤٥-٤٦، ينظر: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث (٢٩١٥)، وروي أيضاً أن سيدتنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة القمر: الآية: ٤٦، ينظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب سيهزم الجمع ويولون الدبر، رقم الحديث (٤٨٧٦)، وللتوفيق بين هذين الحديثين هو أن النبي ﷺ قد تلا هذه الآية التي نزلت في مكة يوم بدر، وإلى هذا ذهب أغلب المفسرين إلى أن السورة كلها مكية، ينظر: تفسير مقاتل: ٣: ٢٩٦، والمحرر الوجيز: ١٧٩٦، والتحرير والتنوير: ١٣: ١٦٦، والتفسير الحديث: ٢: ٢٧١.

ت. أسباب النزول: لا يوجد

ث. المعنى الإجمالي: يقول سبحانه الملك القادر إن المؤمنين الذين تركوا ما حرّم الله وفعلوا ما أمر سيدخلهم سبحانه في جنات النعيم، ويجلسهم في مكان قريب منه.

ثانياً: توجيه قوله تعالى ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ دلاليا

أ. الدلالة اللغوية

المقعد: جلوس له دلالته الخاصة[1].

صدق: نقيض الكذب وهو الكمال في الشي وقوته.

مقعد صدق: في مجلس فيه الكمال والقوة والتمكن ولا كذب فيه

ب. الدلالة التفسيرية: تعددت أقوال المفسرين، وأصحاب كتب المعاني في بيان المراد من قوله ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ وهي:

١. في مجلس حق لا لغو فهو ولا تأثيم[2].

٢. في مكان هُدُوٍّ[3].

٣. في مكان مرضي، صالح[4].

٤. في إقامة مطمئنة[5].

٥. في دار كرامة[6].

والملاحظ على هذه الأقوال أنها متقاربة المعنى ويمكن الجمع بها.

---

(١) سأبين الدلالة الخاصة عند توجيهها سياقياً.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٧: ١٤٠، وفتح القدير: الشوكاني: ١٤٣٢.

(٣) المفردات: ٦٧٩.

(٤) الكشاف: ١٠٦٩، ومفتاح الغيب: ٢٩: ٨١.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٧: ٢٢٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤: ٢٤٦.

ت. الدلالة السياقية:

١. سياق الآية: بدأت الآية بتأكيد الخبر للمتقين وبيان حالهم، بعد أن عرض قبلها حال المجرمين في النار، فقال سبحانه ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ والمقعد: «هو مكان القعود»[١]، والفرق بين القعود والجلوس هو: أن القعود يدلّ على لُبْثٍ وملازمة للمكان، أي: المداومة على الجلوس في المكان، أما الجلوس: فلا وجوب إلى الملازمة في المكان، أي: المفارقة حاصلة وقريبة، والقعود يكون في المكان الذي يطمئن فيه القاعد ويأنس[٢].

قال الرازي: و﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ فيه وجهان: «أحدهما: مقعد صدق: أي صالح يقال: رجل صدق للصالح...، وثانيهما: الصدق المراد منه ضد الكذب، وفيه وجهان: الأول: مقعد صدق من أخبر عنه، وهو الله ورسوله، والثاني: مقعد ناله من صدق فقال: بأن الله واحد وأن محمداً رسوله، ويحتمل أن يقال المراد أنه: مقعد لا يوجد فيه كذب لأن الله تعالى صادق ومن وصل إليه امتنع عليه الكذب»[٣].

نلحظ أن الرازي (رحمه الله) فسر المعنى الأول بدلالة مجاز اللفظ، ثم فسّر اللفظ بدلالته على الحقيقة.

وفي الآية مناسبة أخرى، هي بين قوله ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ و﴿مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ وهي التقارب في الدلالة، فالصدق في المقعد، يدل على أنه تمكن من القعود في المكان، ولم يتم هذا التمكن إلا بقوة وهي: الصدق في الشيء، والمليك: صيغة مبالغة من اسم الفاعل (مالك)

(١) التحرير والتنوير: ١٣: ٢٢٥.
(٢) ينظرك مفاتح الغيب: ٢٩: ٨٠، والتحرير والتنوير: ١٣: ٢٢٥.
(٣) مفاتح الغيب: ٢٩: ٨١.

من الثلاثي (ملك)[1] الذي يدل على قوة في الشيء وصحّة[2]، والمقتدر: اسم فاعل من الفعل (اقتدر) الخماسي وهذه الصيغة من معانيها (الاتخاذ، والمبالغة في الفعل)[3]

فوجه المناسبة هي: أن المتقين تمكنوا من القعود في مكان كامل في الهيأة والقوّة، ولا يقعدُ فيه إلا من كان قوياً كاملاً في الفعل والقول مع الله سبحانه، لأن هذا المكان هو للمالك القوي القادر على كل شيء الذي اتخذ هؤلاء التقين جلساء عنده أي في مكان مستقر لا زوال فيه.

٢. سباق الآية: وهذا واضح جداً، إذ جاءت الآية والتي قبلها في سياق وصف حال المتقين والآيات التي قبلها في سياق وصف حال المجرمين، فالعلاقة المضادة.

٣. لحاق الآية: لما أبرز قوله سبحانه ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ بصورة التنكير فكأن سائلا يسأل ويقول: من المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين؟ فقيل: الرحمن[4].

قال السيوطي: "لما قال سبحانه وتعالى في آخر سورة القمر ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[5]، ثم وصف حال المجرمين في سقر، وحال المتقين في

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود صافي، دار الرشيد، ط/ ٣، دمشق، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ٢٨ : ٨٦.

(٢) معجم المقاييس في اللغة: ٩٩٦.

(٣) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي، مصطفى البابي الحلبي، ط/ ١٦، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م: ٤٤-٤٥، والمهذب في علم التصريف: د.صلاح مهدي الفرطوسي، د.هاشم طه شلاش، مطابع بيروت الحديثة، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ٨١.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٨: ١١٨، وروح المعاني: ١٥: ١٤٩.

(٥) سورة القمر: الآية: ٤٦.

جنات ونهر، فصّل هذا الإجمال في هذه السورة[1]، أتم تفصيل[2].

وظهر لي وجه آخر وهو: أن القعود والملازمة في المكان عند الآخر تناسب التعلم قال تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[3]، والمليك والمقتدر يتناسب مع ما ذكره، سبحانه في بداية سورة الرحمن من خلق الإنسان وتعلمه وجريان الشمس والقمر ورفع السماء ووضع الأرض... إلخ[4]. فكل هذه الأفعال تعود للقوي مالك الملك المقتدر الذي يُنظمها ويُسيرها وفق إرادته وقدرته وتقديره، والله أعلم بالصواب.

---

(١) يقصد سور الرحمن.

(٢) تناسق الدُّرر في تناسب السور: لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ١٢٠.

(٣) سورة الرحمن: الآيات: ١-٤.

(٤) قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ سورة الرحمن: الآيات: ٣-١٣.

الخاتمة وأبرز النتائج

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على خاتم النبيّين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد...

أظهر البحث النتائج الآتية:

١. أن الآيات التي اشتملت على الألفاظ المضافة إلى الصدق، جاءت جميعها في سور مكية، وفي هذا دلالة واضحة على الحالة التي كان عليها مَنْ خوطب بهذه الآيات، فحال المسلمين وقت ذاك محاط بالضعف وقلّة العدد، فجيء بهذه العبارات الدّالّة على معاني القوة والكمال وأنها صادقة لا كذب فيها، لتسهِمَ في تقوية نفوس المسلمين وزيادة تمسّكهم بالقرآن ومبادئ الإسلام.

٢. الخطاب في الآيات جميعها، إمّا خطاباً للرسل كسيدنا محمد ﷺ وسيدنا إبراهيم u، وإما للمؤمنين، ولما كان الصدق حليف الفريقين (الأنبياء والمؤمنين) وجب علينا الاقتداء بهم والسير على منهجهم، للوصول إلى ما وصلوا إليه من درجات عالية.

٣. أهمية الصدق في العمل، لأن الصدق يورث صاحبه نجاة في الدنيا والآخرة.

٤. أشار العلماء إلى أن الإضافة تفيد تعريف المضاف أو تخصصه(١)، إلا أن الاستعمال القرآني لهذه الإضافة أكسبها معانيَ أُخر متعددة، كالمدح، والمنزلة الرفيعة، والذكر الحسن،

(١) قال الجرجاني (ت٨١٦هـ): "هي امتزاج اسمين على وجه يفيد تعريفا أو تخصيصاً، ينظر: التعريفات، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م: ٢٤، والكليات: لأبي البقاء أيوب الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د.عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط/ ٢، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ١٣٢، إذاً: «المضاف يتعرف أو يتخصص بحسب المضاف إليه، فإن كان معرفة عرّف، وإن كان نكرة خصص" ينظر: معاني النحو: د.فاضل صالح السامرائي: ١٠٨.

والخبر الذي لا كذب فيه، والثبات، والتمكن، والقوة، والكمال.

٥. تعاونت الدلالة الأصلية للعبارة مع الدلالة الإضافية في توسيع المعنى وهي من سمات القرآن الكريم التي انفرد بها.

٦. انكشف لي وجه جديد من وجوه الإعجاز في النظم القرآني الذي يأخذ بالألباب، فعند النظر والتأمل في تسلسل هذه العبارات في المصحف الشريف، نجد أن أول العبارات وروداً في بداية سورة يونس: ٢، قال تعالى ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، فسّرها العلماء بأن السعي إلى العمل الصالح لا يكون إلا بالقدم، وآخر الألفاظ وروداً، في نهاية سورة القمر: ٥٥، قال تعالى ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾، وهي النتيجة النهائية لكل من أقدم على عمل صالح يبتغي وجه ربِّه الأعلى، فجيء بهذا النظم القرآني مراعياً للمعاني المرادة وفق تسلسل وقوعها في القرآن الكريم.

مثال توضيحي: إذا أراد إنسان مشرك تصحيح إيمانه، فإنه يستطيع أن يسترشد بالترتيب القرآني لهذه العبارات فيبدأ بـ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، أي: يُوحّد الله قولاً وعملاً -لا كذب فيه- وبذلك يكون قد رجع إلى فطرته السليمة، قال تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[1]، ثم يقوم بتهيئة قلبه ليشرب مبادئ التوحيد، ولا يكتفي بذلك، بل يدعو ربَّه في كلِّ عمل يعمله في حياته، بأن يُدخله مدخلاً ثابتاً فيه على التوحيد، ويخرجه مخرجاً ثابتاً فيه على التوحيد غير مفتون، فالدنيا دار اختبار وابتلاء، فمن ثبت على التوحيد كان الذكر الحسن حليفه فتشهد ألسنة الناس له في الدنيا، وتشهد ملائكة الرحمن له يوم القيامة، فهو وقت ذاك بين رجاء ربه، ولما كان رجاء ربه صادقاً أدخله جنته، وأقعده بجواره في مقعد لا زوال بعده، فطوبى لمن سار على هُدى القرآن

(١) سورة الروم: الآية: ٣٠.

واستضاء بنوره.

٧. عند النظر في ترتيب نزول السور المشتملة لهذه العبارات، نجد أن ترتيبها يختلف عن تسلسلها في المصحف، فهي -بالترتيب- كالآتي: القمر، مريم، الشعراء، الإسراء، يونس، الأحقاف[١]، وههنا سؤال بطرح نفسه؟ هل هذا يتعارض مع ما ذكرته في الفقرة السادسة، الجواب: لا، لأن وقت نزول السورة كان مراعيا لمن خوطب به والحالة التي هم عليها، ولجو السورة ونظامها، فمنشأ هذا الإختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين، ثم أن القرآن كان ينزل تباعاً، ولم يكتمل نزوله بعد[٢].

٨. التفسير الموضوعي: بالرغم من تعدد الكتابات فيه، وتناوله من قبل أصحاب الاختصاص بالبحث والدراسة لكثير من ألفاظه وموضوعاته إلا أنني أرى أنه لا يزال فيه الكثير من الأسرار التي لم تكتشف بعد، والتي يمكن الوصول إليها عن طريق تطوير الدراسة الموضوعية بالبحث الدقيق.

٩. التفسير الموضوعي: يظهر التفسير الإرشادي بأرقى صوره ودون إخلال بالمعنى المراد.

١٠. التفسير الموضوعي: يكسو علم التفسير صبغة جديدة تتيح للباحثين والقراء تلذذ معاني القرآن وأهدافه، مما يُزيد الارتباط بينهما.

والحمد لله رب العالمين في البدء والختام

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ٢٤٩، والتفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول): ١: ١٥.

(٢) ينظر: تناسق الدُّرر في تناسب الدرر: (مقدمة المحقق).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

٢. أساس البلاغة: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د.محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

٣. أسباب نزول القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ ٤، ٢٠٠٩م

٤. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، ط/ ٩، دمشق – سوريا، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

٥. البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٦. التبيان في إعراب القرآن: لعبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت٦١٦هـ)، شركة القدس، القاهرة – مصر، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م

٧. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ت

٨. تذكرة الأريب في تفسير الغريب: لجمال الدين عبدالرحمن بن علي المعروف بـ(ابن الجوزي) (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٩. التعريفات، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م: ٢٤، والكليات:

لأبي البقاء أيوب الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د.عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط/ ٢، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م

١٠. التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول): محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر، ١٣٨٣هـ

١١. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): لعماد الدين إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد شراد الناصري، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م

١٢. تفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

١٣. تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

١٤. تناسق الدُّرر في تناسب السور: لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م

١٥. التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد بيومي، دار الغد الجديد، القاهرة - مصر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

١٧. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، محمد حسن الغرب، دار الفكر، بيروت

- لبنان، د.ت

١٩. زهرة التفاسير: لمحمد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي

٢٠. سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

٢١. الشافي الوجيز في إعراب كتاب الله العزيز: حسن طه حسن السنجاري، مطبعة أنوار دجلة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٢٢. شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي، مصطفى البابي الحلبي، ط/ ١٦، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م

٢٣. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، تحقيق: د.محمد محمد تامر، وآخرين، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

٢٤. صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م: ٧١٢.

٢٥. الفروق اللُّغوية: لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكر (ت٤٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م.

٢٦. في ظلال القرآن: سيد قطب (ت١٩٦٦هـ)، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط/ ٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

٢٧. كتاب العين: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٢٨. الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها: لنصر بن علي بن محمد أبي عبدالله الشيرازي، الفسوي النحوي، المعروف بأبي مريم (ت٥٦٥هـ)، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م

٢٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

٣٠. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحُججها: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

٣١. لسان العرب: لمحمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط/ ٣، ١٤١٤هـ

٣٢.مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١١هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٣٣. المحرر الوجيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٤. المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

٣٥. معاني القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٦. معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد القراء (ت٢٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

٣٧. معاني النحو: د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان – الأردن، ط/ ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٣٨. معجم المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: لشهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ

٣٩. المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، الدكتور: محمد سالم محسن، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط/ ٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

٤٠. مفاتح التفسير: أحمد سعيد الخطيب، دار ابن حزم، الرياض، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

٤١. مفاتح الغيب (التفسير الكبير): لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: هاني الحاج، وعماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣

٤٢. مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، توفي بحدود (٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط/ ٣، دمشق – سوريا، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٣. المهذب في علم التصريف: د.صلاح مهدي الفرطوسي، د.هاشم طه شلاش، مطابع بيروت الحديثة، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م

٤٤. النشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط/ ٣، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٤٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥ه)، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ ٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٦. النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بـ(الماوردي) (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ت.